

لقاء العدد



فضيلة الشيخ
غنيم بن مبارك الغنيم

أجرى الحوار
محمد بن عبد الله المقرن

ضيفنا في هذا العدد.. من رجالات القضاء، ولد في بلدة الهلالية بالقصيم وتعلم في مكة المكرمة والتحق بدار التوحيد وكلية الشريعة، وتعلمت على كبار العلماء في زمنه، عمل في القضاء قاضياً ورئيساً، وانتهى به العمل الوظيفي عضواً في مجلس القضاء الأعلى.

سعد ورحب بنا في مجلة العدل فكان هذا اللقاء مع الشيخ غنيم بن مبارك الغنيم.

ومحمد القط ومحمد متولي الشعراوي وهو من ضمن الأساتذة الذين اختارهم الشيخ محمد ابن مانع رحمه الله للتدريس في المملكة وهم صفوة مختارة جمعوا بين سعة العلم والفضل والخبرة في التدريس أما الشيخ علي الهندي فكان يدرسننا الفقه ويأتي بمسائل فقهية يطرحها على الطلاب ويناقشهم فيها ويوجه الطلاب إلى كيفية استخراج المسائل الفقهية من مظانها رحم الله الجميع، وفي أوائل الستينيات عين الشيخ عبدالله بالطائف وكان يجلس للطلبة للقراءة ودرست عليه ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

■ فضيلة الشيخ رافقكم في طلب العلم إخوة وزملاء، فمن أبرز زملائكم ممن كان لهم بروز في العلم واستفاد منهم غيرهم؟
- من مدرسة دار التوحيد وكلية الشريعة بمكة المكرمة تخرج علماء ومفكرون وأدباء وصلوا أعلى المراتب في هذه البلاد المباركة منذ عام ١٣٧٢هـ منهم الوزراء والقضاة والمدرسون وهم نتيجة غرس مؤسس هذه البلاد الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - ذلك الغراس الذي أثمر أولئك الخريجين بعد جهد بل دخل بعضهم المدرسة مكرهاً وصارت العاقبة حميدة يدعون له

**مفكرون وعلماء ووزراء دخلوا المدارس
مكرهين فحمدوا العاقبة ودعوا للملك
عبدالعزيز رحمه الله**

■ فضيلة الشيخ نود أن تحدثونا عن نشأتكم وبدايتكم في طلب العلم؟

- ولدت في بلد الهلالية بالقصيم وفي عام ١٣٥٧هـ انتقل والدي رحمه الله إلى مكة المكرمة وكان إماماً تابعاً للجيش العربي السعودي المقيم بجرول وكان يعلمني القرآن وبقوارنا مسجد إمامه يعلم الأطفال الصغار القرآن على الطريقة القديمة بكتابة ما يراود حفظه باللوح وكنت أحد تلامذته وفي عام ١٣٦١هـ دخلت مدرسة الخالدية الابتدائية بمكة المكرمة أتممت تعليمي الابتدائي بالطائف وعند التخرج التحقت بمدرسة دار التوحيد ثم كلية الشريعة بمكة المكرمة وتخرجت منها عام ١٣٧٦هـ

■ فضيلة الشيخ لا بد أنكم تأثرتم بمنهج أحد مشايخكم الذين أخذتم عنهم في بداية طلبكم للعلم فمن أبرز مشايخكم وماذا استفدتم منهم؟

- كان ممن درسني في دار التوحيد الشيخ عبدالله الصالح الخليفي وسبق أن كان قاضياً بالمدينة المنورة عام ١٣٤٦هـ ثم الطائف في الستينيات من القرن الماضي ومنهم المشايخ عبدالقادر عفيفي وعبداللطيف سرحان وأخوه عبدالسلام وعبدالمعز عبدالستار

فضيلة الشيخ غنيم بن مبارك الغنيم

وإرساء العدل والإنصاف وردع الظالم وبيان الحق، كما كنت رئيساً للجنة فض النزاعات بين القضاة والدوائر الأخرى المنصوص عليها في نظام القضاء

منذ صدور النظام حتى تقاعدي، ولأن الشيء بالشيء يذكر لا بأس أن أذكر أن سماحة الشيخ عبدالله ابن حميد كان يدرس المعاملات المعروضة على المجلس مع الأعضاء وذكأوه وعلمه وحضور بديهته لا يشك فيها أحد ومن ذلك أنه في ذات يوم دخل رجل علينا فسلم عليه فقال رحمه الله «وعليك السلام أهلاً فلان» وسماه باسمه رغم أن الشيخ كفيف البصر فدهش الرجل وأذهلته المفاجأة فقال ما شاء الله عرفتنى وقد غبت عنك عشرين عاماً؟

ومن ذكائه وحضور بديهته أنه عرضت قضية بها خمسة صكوك قرأتها عليه وبعد انتهاء القراءة طلب مني ذكر خلاصتها فذكرت له خلاصة أربعة منها ونسيت الخامس، فقال: بقي خامس خلاصته كذا.

■ فضيلة الشيخ عشتم فترة صعبة فيها شظف العيش وصعوبة الحياة هل لكم أن تحدثونا عن تلك الفترة ومقارنتها بالحياة الآن؟

- كانت الحياة في أوائل السبعينيات في القرن الماضي صعبة عانيت منها من شظف العيش وصعوبة الحياة ما الله به عليم خصوصاً عندما كنت قاضياً في رابع عام ١٣٧٧هـ، كانت رابع قرية صغيرة أغلب بيوتها متواضعة معمولة من القش وأعواد النخل والبيت المبني منها سقفه مبني من جذوع النخل وكذلك أسقف الأبواب وكانت دابة الأرضة منتشرة فيها وقد استأجرت بيتاً متواضعاً ومن الطريف أنني علقت ثوبي بوتد في جداره وعند الصباح وجدت الأرضة قد لعبت به وخرقته في بعض أجزائه الملائقة للجدار، وهذه القرية آنذاك لا يوجد فيها ماء للشرب وإنما لبعض الأغراض الأخرى لأنه ملوث ويؤخذ من آبار قريبة من البحر فيه ملوحة أما الشرب

الشيخ عبدالله ابن حميد كان سريع البديهة قوي الذاكرة يسترجع الصكوك ويخلصها

بالرحمة والمغفرة وألستهم لا زالت تلهج بذكره لأنه انتشلهم من الجهل إلى العلم ومن العوز والحاجة إلى الغنى وعزة النفس وكان من زملائي الذين

تخرجوا من الكلية عام ١٣٧٦هـ الأستاذ سعد الحصين وكان الأول على دفعته ومن كتاب مجلة الدعوة، ومنهم الأديب الشيخ عبدالله الحصين والدكتور جابر الطيب رحمه الله كان قاضياً في بيشة ثم انتقل لمحكمة التمييز بمكة المكرمة وله نشاط في إذاعة القرآن الكريم ويدرس في الحرم المكي مع ملاحظة أن زملائي الذين تخرجوا من الكلية ذلك العام لا يزيد عددهم عن ستة عشر طالباً فانظر أخي القارىء إلى البون الشاسع بين ذلك الزمن وما تحتويه الجامعات الآن من مئات، بل آلاف وذلك من فضل الله ثم بفضل جهود أولي الأمر واهتمامهم بالتعليم وسهرهم على تنقيف شعبهم ورفعهم إلى مصاف الأمم الراقية ليواكبوا التطور فلهم كل الحب والتقدير.

■ فضيلة الشيخ ما الأعمال التي مارستها وعلمت بها خلال رحلتكم وحياتكم الطيبة في مجال القضاء؟

- عندما تخرجت من كلية الشريعة عينت قاضياً في محكمة رابع وبعد فترة من الزمن انتقلت قاضياً في المحكمة الكبرى بالطائف وكان يرأسها فضيلة الشيخ محمد بن علي البير رحمه الله وكان رجلاً عالماً فاضلاً حليماً حكيماً كما عملت قاضياً بالمحكمة المستعجلة بالطائف سنين طويلة حتى أصبحت مساعداً لرئيس المحكمة الكبرى ثم رئيساً لها وفي عام ١٣٩٢هـ انتقلت إلى الرياض عضواً في الهيئة القضائية العليا كما عملت منتدباً بمحكمة التمييز بالرياض ثم عضواً بالهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى وقد تعاقب على رئاستها سماحة الشيخ عبدالله ابن حميد ومعالي الشيخ محمد بن جبير ومعالي الشيخ صالح اللحيدان وكانوا نعم العلماء العاملين المخلصين الذين بذلوا جهودهم وفكرهم وعلمهم في سبيل حل مشاكل الناس

فكنا نشرب من جده يزودنا به صاحب وايت من أهل رابغ، أما اللحم فلا يكاد يوجد والسمك متوافر لأنها بلدة ساحلية والخضراوات مفقودة ورابغ

أغلب ساكنيها من حرب يتصفون بالسماحة والديانة وكانت نزاعاتهم قليلة وأمير رابغ آنذاك سالم بن مبيريك رحمه الله وكانت خليص والكمال وثول والقضيمة ومستورة كلها تتبع محكمة رابغ فانظر أخي الفرق الشاسع بين تلك السنين الغابرة وهذه السنين الأخيرة التي بدل الله فيها الحال وتغير فيها الزمن فبدل الله العسر يسراً وكثرت الخيرات وعمَّ الفضل وأصبح الناس يعيشون في بجموحة من الرزق ورغد من العيش وأصبحت القرى الكلدن لا فرق بينها وكل ذلك بفضل الله أولاً ثم بفضل حكومتنا الرشيدة التي ما فتئت تجاهد في سبيل إسعاد شعبها وتأمين ما يحتاج إليه من صنوف الأشياء منذ عهد المؤسس رحمه الله إلى عهود أبنائه الغر الميامين رحمهم الله إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله حفظه الله ورعاه وأيده بنصره وتوفيحه وولي عهده الأمين وحكومتهم الرشيدة.

■ فضيلة الشيخ عاصرتم مراحل مختلفة في سلك القضاء في المملكة فما أبرز ملامح الاختلاف بين الوقت السابق والحالي؟
- القضاء هو القضاء في الماضي والحاضر والقضاة السابقون جلهم وهيو حياتهم للعلم والتحصيل والقراءة في كتب الحديث والفقه والتفسير وغيرها فتراهم حركة دائبة وشعلة منقذة من النشاط لهم دروس في المساجد وفي بيوتهم تتلمذ على أيديهم طلاب علم نفع الله بهم يفتون الناس ويعلمونهم ويحرصون على أداء عملهم على أكمل وجه مع قلة القضايا في وقتهم وندرة المتخاصمين وبساطة التقاضي لا يريدون إلا الحق ويتبرؤون مما يلحق ذمهم

مما ليس لهم أما في الوقت الحاضر فقد تعقدت القضايا وكثرت أساليب الدعاوى وغلب الطمع على كثير من المتخاصمين أسأل الله أن يرينا الحق حقاً

من مشايخي الشيخ عبدالله الخيازي وعلي الهندي ومحمد متولي الشعراوي

ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

■ فضيلة الشيخ من خلال

تجربتك الطويلة في القضاء ما

المنطلقات التي ينبغي التأكيد عليها وحث القضاة على الاعتناء بها؟

- عملت في سلك القضاء أكثر من خمسة وأربعين عاماً ومعلوم أن القضاء أمره عظيم وخطره جسيم فالعدل قامت به السموات والأرض وأهم ما استهدفته الشريعة الإسلامية تحقيق العدل في سائر الأحوال والأزمان والعدل يستوي فيه القريب والبعيد ولا يقلل من أهميته حب أحد وبغضه والله أمر بالعدل والإحسان فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] وحرم سبحانه وتعالى الظلم وأخبر أن سبب هلاك الأمم السابقة هو الظلم والجور قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَرَجَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

وتواردت الأحاديث النبوية على الأمر بالعدل والنهي عن الظلم والجور فقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» والقاضي بشر يخطئ ويصيب والأحكام من عمل الإنسان يرد عليها الخطأ والسهو ومع علمي أن القضاة يتميزون بقيمهم وإخلاصهم هم أحرص الناس على الجد والاجتهاد وتحري العدل وتحقيق العدالة بين المتخاصمين إلا أنني أنصحهم ونفسي بتقوى الله عز وجل والحرص وإنجاز القضايا في وقت العمل ولا يتركوا للناس فرصة للخوض في أعراضهم والنيل منهم في أي تقصير يبدر منهم عن حسن نية يرصده الشامتون ولا ينتبه له إلا الحريص على أداء العمل على الوجه الأكمل وأن يكون القاضي لين الجانب متواضعاً باسطاً لهم وجهه مصغياً إلى ما يتفوه به المتداعون وأختم كلمتي بوصية ابن مسعود رضي الله عنه «قال من كان منكم متأسياً

فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعلمها علماً، وأقلها تكلفاً وأقواها هدياً وأحسنها حالاً

الحازم العاقل العالم الذي يتصرف بحكمة، هذه هي صفات من يرأس المحكمة العامة

فضيلة الشيخ غنيم بن مبارك الغنيم

منها المبهجة ومنها المحزنة والقاضي كغيره من الناس إذا استرجع شريط الذكريات تذكر أموراً غريبة ومما مر علي واخترنته الذاكرة أن امرأة قروية

حضرت للمحكمة وادعت علي آخر بأنه غصب بقرتها وهي تحت يده وقد رد المدعي عليه بإنكار هذه الدعوى وبطلب البينة منها قالت: بينتي بقرتي» واكتفت بهذا الرد رغم إفهامها ومحاولة إقناعها إلا أنها أصرت علي قولها الأول. ومن المواقف الطريفة أن رجلاً ادعى علي آخر في أجره سكن وبعد طلب متكرر حضر المدعي عليه وكان المدعي منفِعاً ولم ينظر إلي شخصية الرجل الذي حضر وأخذ يسرد دعواه ويشكو مطل المدعي عليه فأكثر المدعي عليه الدعوى أو معرفته بالمدعي فطلبت من المدعي أن ينظر إلي المدعي عليه ويتأكد من شخصيته فلما التفت إليه تغير لونه وهزته المفاجأة وقال: هذا ليس خصمي واعتذر منه وبدا عليه الخجل والأسف والندم علي عجلته وأختم هذه الطرفين بهذه القصة حضرت امرأة للمحكمة مدعية أن زوجها قلاها وتركها هي وابنها منه بدون نفقة منذ أن تزوج عليها امرأة أخرى وطلبت إلزامه بالنفقة واستلام ابنه الرضيع واستعد الزوج بالنفقة أما الابن فيبقى عند أمه فامتنت من بقائه عندها وأخذت تولول وتصيح وترفع صوتها بالبكاء وفجأة وضعت الرضيع علي طاولة التقاضي وولت خارجة من المجلس فدهش الجميع من تصرفاتها ولا حيلة لنا بردها فطلبت من الزوج أن يبقي ابنه لديه إلي صباح الغد الباكر لعلمي أن قلب الأم لن يبقي علي هذه الشدة والغلظة وسوف تندم علي فعلتها ويؤنبها قلبها ولن تتنازل عن ابنها بهذه السهولة ولكنها نزوة تليها رجوع وفعلاً عندما حضرت في اليوم التالي للمحكمة إذا هي أمامي تدرف الدمع وتبدي أسفها وحرزها علي فراق ابنها طيلة الليل وحضر زوجها

حسبما اتفقت معه وأحضر الولد وسلمه لها فاحتضنته بشوق ولهفة وعادت بسمتها وندمت علي ما فرط منها وكانت لحظات لا تنسى اختلطت فيها دموع

المبدع لا يتقاعد والتحصيل العلمي لا ينتهي عند التقاعد وهكذا أقضي وقتي

اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

■ فضيلة الشيخ القضاء في المملكة العربية السعودية مستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية السمحة.. فما أبرز سمات هذا التميز؟

– من فضل الله سبحانه وتعالى علي هذه البلاد المباركة أن أحكام القضاء فيها مستمدة من الشريعة الإسلامية التي تمتاز بالسمو والشمول والكمال والدوام. أحكامها أدوية شافية صالحة لكل زمان ومكان فلا غرو أن ترى الأمن مستقراً يسير الراكب فيها من شرقها لغربها ومن شمالها لجنوبها لا يخشى إلا ربه، وبتطبيق الشريعة زالت العصبية وبذ الناس التنافر والتناحر ونعمت الأمة بالاستقرار والوحدة وهذه أعظم ميزة.

■ فضيلة الشيخ كيف كانت تفصل الخصومات في ذلك الوقت وما مدى رضا وقناعة الخصوم بالحكم الشرعي؟

– من المعلوم أن المحاكم في المدن الكبيرة في الحجاز مكة والمدينة والطائف منظمة فالجلسات لها أيام ومواعيد محدودة وتضبط أقوال الخصوم ودفعاتهم وبعد انتهاء القضية ينظم خلاصة لكل ما ضبط في صك والناس يتفاوتون في قبول الحكم وعدمه وكان القضاة قلة والناس منشغلين في طلب الرزق والسعي وراء لقمة العيش إذ كانت الحياة صعبة والناس بحاجة إلى ما يسد رمقهم ويطعم أهليهم، قلة هم الذين يتجهون للمحاكم للمطالبة وإنارة المشاكل مع أنه كان في الناس وجهاء وعلماء يتوسطون بين المتخاصمين قبل أن يتفاقم النزاع وتحصل الجفوة بين الأسر.

■ فضيلة الشيخ ما أبرز المواقف القضائية التي لا زلت تتذكرها؟

– الإنسان في هذه الحياة تمر به أطوار ومواقف مختلفة

مجلة العدل هي ما كان يبحث عنه القضاة والمختصون

الفرح بدموع الحزن.

هذه القضية اختلطت فيها دموع الفرح بدموع الحزن

ينتهي عند التقاعد والمبدع لا يتقاعد ومطلوب منه أن يواصل تثقيف نفسه خصوصاً في هذا الزمن الذي كثرت فيه العلوم

والمعارف وتشعبت وسهل أمر الوصول إليها في أسرع وقت وأقل جهد بواسطة هذه المخترعات الحديثة التي قربت البعيد، وصدور الكم الهائل من المؤلفات التي تحوي عصارة أفكار المبدعين فهي تتوالى في كل وقت وتحوي كل فن وعلم وكم تكون سعادتني غامرة عندما أقضي جلّ وقتي بين هذه الكتب والمجلات أنتقل من روضة إلى روضة ومن فائدة لفائدة ومن علم إلى علم حتى يشعر المرء أنه ليس لديه الوقت الكافي لكل ما لديه من نتاج المطابع.

■ فضيلة الشيخ مجلة العدل مطبوعة جديدة أضافتها وزارة العدل للمكتبة العلمية فما تقيمكم لإصدارها؟

- لقد كان لصدور مجلة العدل بهجة وسرور سعد بها الكثير فقد سدت فراغاً كبيراً وفرح بها القضاة والمختصون ممن يهتمهم الاطلاع على البحوث العلمية المفيدة ومما له مساس في القضاء وأنظمته وتعليماته إنه لتغمرني السعادة وأنا أرى هذا الإصدار الجميل وهذا السفر الجليل يهل علينا بطلعته البهية فتلقفه الأفئدة بنهم وشغف وما كان لها أن ترى النور لولا توفيق الله أولاً ثم جهود المخلصين العاملين في وزارة العدل وعلى رأسهم معالي الوزير الدكتور الشيخ عبدالله بن محمد آل الشيخ فهو حفظه الله يملك قدرات إدارية عالية وفكراً ثاقباً ورأياً حقيقياً مع النخبة الخيرة ممن أهمهم أمرها وعملوا فيها بجد وإخلاص أولئك الذين أدركوا مراحل التطور وواكبوا الزمن وسعوا حثيثاً إلى ما وصلت إليه من قوة وجمال إخراج حتى أصبحت إحدى المجلات الرائدة التي لها حضور في كل مجال إنني أهني القائمين عليها وأهني نفسي بهذا الإصدار القيم فلهم مني ومن كل قارئ كل تحية

وتقدير فجزاهم الله كل خير والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عملت في القضاء أكثر من خمسة وأربعين عاماً

■ فضيلة الشيخ ما الأعمال التي شاركتكم فيها إلى جانب عملكم في القضاء؟

- كنت إماماً وخطيباً لمسجد الملك فيصل بالعزيرية بالطائف أكثر من خمسة عشر عاماً ألقى فيه الدروس والمواظع طوال تلك الفترة ولما انتقلت للرياض عام ١٣٧٢ هـ أنابني الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله بالخطابة عنه في مسجده بشارع الخزان فترة من الزمن كما شاركت في إعداد نظام التسجيل العقاري من أول البدء فيه حتى أقر من المقام السامي وصدق عليه، كما شاركت في إعداد لوائحه عندما كنت مستشاراً لمعالي وزير العدل الدكتور الشيخ عبدالله بن محمد آل الشيخ وفقه الله لكل خير.

■ فضيلة الشيخ تدرجتم في السلك القضائي وتقلدتم منصب رئيس المحكمة الكبرى وكيف وجدتم المهمة وكيف ترون السياسة الواجب اتباعها لمن يتقلد هذا المنصب؟

- المحاكم العامة تحتاج إلى رئيس حازم عاقل عالم يتصرف بحكمة وروية وتعقل فهو مطلوب منه تسيير أمور الناس وهم يتفاوتون في عقولهم ومشاربهم يحتاجون إلى رجل لديه عقل راجح وعلم واسع وحلم يحاول إقناع الشاكي بالحسنى ومع أن رضى الناس غاية لا تدرك إلا أن على القاضي أن يجتهد ويسد ويقارب والله غالب على أمره وإذا كان الرئيس يطلب رضى ربه ويخشاه حق خشيته سده ووفقه للصواب لأن هدفه الحق وإشاعة العدل في عمله وفيما يروى: «من التمس رضى الله بغضب الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بغضب الله عليه غضب الله عليه وأغضب عليه الناس».

■ فضيلة الشيخ هل ينتهي التحصيل العلمي للقاضي بالتقاعد؟ وكيف يقضي فضيلتكم ساعات اليوم؟

- التحصيل العلمي لا